بسم الله الرحمن الرحيم

 الفقه في مقامات الحريري

ا.د. هيثم عبدالسلام محمد

الجامعة العراقية / كلية العلوم الاسلامية

 قد يبدو غريبا الحديث عن الفقه في مقامات الحريري ، ولعل سائلا يسأل ما دخل الفقه بالمقامات ، وهل المقامات كتبت للفقه والفقهاء ، فاهل الفقه لهم مسلكهم في الكتابة وأهل الادب واللغة لهم طريقتهم الخاصة ، والحق ان الحريري رحمه الله تعالى ادخل الفقه الى المقامات فقد كتب فيها مقامتين تتعلقان بالفقه ، فقد اهتم بالفقه من دون العلوم الشرعية الاخرى كالحديث والتفسير واصول الفقه وعلم الكلام ... وهو مصيب في ذلك ، اذ لايمكن له أو لغيره ان يتجاوز الفقه والفقهاء فالحضارة الاسلامية تكاد ان تكون فقهيه فشان الفقه فيها كبير ويشغل الحيز الاكبر منها ، فلا يستطيع ان يتجاوز الفقه ، كما انها فرصة لكسب ود اهل الفقه والفقهاء واظهار مقدرته وعلمه واحاطته بالفقه .

 ومما ينبغي ذكره ان الدكتور شوقي ضيف ت 2005م قد عد مقامات الحريري في كتابه " الفن ومذاهبه في النثر العربي " من جملة التصنع والتعقيد فقد قال عنها : " انها طبعا أساليب التصنع وما يطوى فيه من تعقيد وتصعيب في طرق الاداء على هذه الهيئة، فاذا الكاتب يفر من الاداء المستقيم الى الاداء الملتوي ، لا ليدل على شيء سوى مهارته في اللعب والعبث بالالفاظ ، وانه لعبث ينتهي به الى هذه الصورة الهندسية التي لاتحوي فنا ولا جمالا، وانما تحوي تعقيدا " .

 ولاأريد ان استعجل فيما اذا كنا نتفق معه أو نخالفه ولكننا دعونا نرى ، ماذا كتب عن الفقه في مقاماته .

 المقامة الاولى : وهي المقامة الخامسة عشر وتعرف بالفرضية .

 ويراد بالفرضية علم الفرائض وهو ما يتعلق بالارث وانصبة الوارثين وخلاف الفقهاءفي هذا الباب قليل لان الانصبة مفروضة من الله تعالى في القران الكريم .وهذه المقامة ليس فيها الا مسالة واحدة عن الميراث جاءت على شكل شعر وهي :

 أيها العالم الفقيه الذي فا ق ذكاء فماله من من شبيه افتنا في قضية حاد عنها كل قاض وحار كل فقيه رجل مات عن أخ مسلم حر تقى من أمه وأبيه وله زوجة لها أيها الحـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــبر أخ خالص بلا تمويه فحوت فرضها وحاز أخوها ماتبقى بالارث دون أخيه

قال الشريشي ت 619 ه وهو افضل من شرح المقامات : " فائدة ذكر الاخ اثبات النسب ، لان الاجنبي لايرث ، وفائدة ذكر المسلم ان اهل دينين لايتوارثان ، وفائدة ذكر الحر ان العبد لايرث الحر ، واما التقي ، فمالقيت من اشياخنا من نبه عليه ، حتى حدثني به الفقيه ابو العباس الليثي ، عرف بالحضار ، فقال فائدة لطيفة ، وهي التحرز من قاتل العمد ، لانه لا يرث وليه ، فاراد ان موجبات التوارث قد كملت لهذا الوارث ومع هذا لم يرث "

 انظر الى صعوبة العبارة كيف غفل عنها الاشياخ ووقف عندها الشريشي لايدرك مغزاها حتى أخبره بها احد الفقهاء .

 فكان الجواب على مسألة الارث بالشعر أيضا وهي :

 ان ذا الميت الذي قدم الشر ع اخا عرسه على ابن ابيه رجل زوج ابنه عن رضاه لحماة له ، ولاغرو فيه

الى آخر الابيات في المقامات .

 ويقول الشريشي : "وتقريب هذا اللغز ان نقول : رجل وابنه وامراءة وابنتها . تزوج الرجل البنت والابن الام ، فمات الابن ، وقد حملت منه الام ، فوضعت غلاما ، فكان للرجل ابن ابنه ، ولزوجته أخا لام ، ثم مات الرجل وترك أخا فورثت زوجته الثمن ، واخوها من أمها الباقي ، لانه ابن ابن الميت ، وهو يحجب الاخ ، كما كان يحجب الابن لوكان حيا "

 ولولا شرح الشريشي للمقامات ما فهمت من السؤال او الجواب شيء .

المقامة الثانية : وهي المقامة الثانية والثلاثون وتعرف بالطيبية .

 والطيبية نسبة الى طيبة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فبعد ان أتم حجه ، ذهب الى زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ولااعرف لماذا تضمنت هذه المقامة الفقه وكان الاولى ان تتعلق بالحديث النبوي الشريف أو بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى كل ذكر في هذه المقامة : " اني حاضرت فقهاء الدنيا ، حتى انتخلت منهم مائة فتيا " . فالمقامة هذه مجموعة من الفتاوى ويجيب عليها ، وذكر انها مائة وهي أكثر من مائة ولكثرت المسائل الفقهية فان الشريشي يقتصد في الكلام بل يقتصر على معاني المفردات مثل :

 " قال : ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله ؟ قال : انتقض وضوءه بفعله " قال الشريشي (النعل :الزوجة )

" قال : فان توضأ ثم أتكأه البرد ؟ قال : يجدد الوضوء من بعد " قال الشريشي (البرد : النوم )

" قال : أيمسح المتوضئ انثيه ؟ قال : قد ندب اليه ، يوجب عليه " قال الشريشي ( الانثيان : الاذنان )

 وهكذا يستمر على هذا المنوال ، ولا شك ان ظاهر الكلام شيء ومايراد به شيء آخر ، ومن يقرأ المقامة من دون شرحها يظن كل الظن ان الحريري يستخف بالفقه والفقهاء والقضاة والسلطة ، لذا لا أنصح بقراءة المقامات من دون شروحها ولاسيما هذه المقامة .

 ولم يذكرالحريري في هذه المقامة الا الامام الشافعي ت 204 اذ قال : " واشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس الى مذهب ابن أدريس " وابن أدريس هو الامام محمد بن ادريس الشافعي .

 ولاادري لماذا خصه بالذكر ، أ لانه يقلده أم التصنع والصناعة البلاغية ألجئته الى ذلك ؟ واكبر الظن انه لاهذا ولا ذاك ، بل لامر آخر سنبينه .

 كما هو معلوم ان الحريري ولد عام 446ه وتوفي عام 516ه ، والسلاجقة استولوا على بغداد 447ه وانتهى حكمهم لبغداد 547ه معنى هذا ان الحريري عاش طوال عمره عندما كان السلاجقة يحكمون بغداد ، والسلاجقة على مذهب الامام الشافعي فمن الطبيعي ان يذكر مذهب امامهم ، وبعبارة أ خرى يتقرب اليهم بذكر امامهم .

##  بعد هذا كله، لعل القارئ يتفق معنا في ان المقامات فيها من الصعوبة والتعقيد وعدم الوضوح الكثير الكثير ، لذا فاننا نتفق مع د. شوقي ضيف في وصفه للمقامات . ونقول الحمد لله لم يهتم ارباب الفقه بها أو يحاكوه فيها ، بل يكفينا ما في كتب الفقه من غموض و وعورة وتعقيد .